عُرْوَة بْن أُذَيْنَة اللَّيْثِيّ
حياته ومعالم شعره

الدكتور يحيى الجبورى
قسم اللغة العربية

الشـاعر :

هو عروة بن أذينـة (تصغير اذن)[١] واسمه يحيى بن مالك[٢] الليثي[٣] المدني الحجازي[٤] الكناني[٥] وكنيته أبو عامر[٦] .

---

(١) الاشتقاق ـ ابن دريد ص ١٧٢ .

(٢) ابن الحارث بن عمرو بن عبدالله بن زحل بن يعمر ، وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ، وسمي يعمر بالشداخ لانه تحمل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة ، وقال : قد شدخت هذه الدماء تحت قدمي فسمي الشداخ قال ابن الكلبى : الشداخ بضم الشين . (الاغانى ٢١/١٠٥ ط ساسى وانظر المؤتلف والمختلف ـ الامدي ص ٥٤ـ٥٥ ط القدسى وص ٦٩ ط فراج ، وجمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم ص ١٨١ وفيه : عبدالله بن أحمد ابن الشداخ) .

(٣) الشعر والشعراء ٢/٥٦٠ والتنبيه ـ البكري ص ٢٦ .

(٤) التاريخ الكبير ـ البخاري ٤/٣٣ والجرح والتعديل ـ ابن ابي حاتم ٣/٣٩٦ وفوات الوفيات ـ ابن شاكر الكتبي ٢/٧٤ـ٧٥ .

(٥) انظر فى نسب كنانة : نسب عـدنان وقحطـان ـ المبرد ص ٢ـ٥ وجمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم ١٨١ .

(٦) الاغاني ٢١/١٠٥ ط ساسى والمؤتلف والمختلف ٦٩ ، وقد كنتـه سكينة بنت الحسين بأبي التمام فى قولها فى رواية : يا ابا التمام انت تزعم انك لم تعشق قط وأنت تقول : قالت وابثثتها وجدي .. البيت ، وانظر كتاب الزهرة ص ٣١٤ـ٣١٥ .

وليس لدينا معلومات وافية عن اسرته ، سوى اشارات ضئيلة ، من ذلك ان جده مالك ابن الحرث كان مع علي بن ابي طالب فى وقعة الجمل وقد استأذن منه فى البصرة ، بعد أن انتصر على خصومه ، أن يعتزل هو وابن عم له ، خشية انقراض أهل بيته ، ومن المحاورة التي جرت بينهما يبدو انه كان أثيراً لدى علي بن ابي طالب رضى الله عنه[٧] .

اما أبوه أذينة فلم يكن من مشهوري عصره ، وكان فيما يبدو رجلا صالحا من صلحاء أهل المدينة ، وكذلك لا نعرف عن أمه شيئا ، الا اننا نعرف خبرا عن جدته التي خرجت تمشي الى بيت الله مع حفيدها عروة ، فعجزت فسأل عروة ابن عمر ، فأفتى لها أن تركب من حيث عجزت[٨] .

أما أولاده فأشهرهم يحيى بن عروة بن أذينة ، وكان يروى اخبار أبيه عروة ، ويروى عنه[٩] ، وعرف لعروة أخ هو بكر ، وقد رثاه بأكثر من قصيدة من ذلك قوله الذى يغني به[١٠] :

سرى همي وهم المرء يسرى وغار النجم الا قيد فتر (الابيات..)

ولعروة مولى اسمه مسلم ويكنى بأبى عبيدة وهو من علماء الخوارج وكان أباضيا من الصفرية[١١] .

وعروة من شعراء المدينة المقدمين ، عرف بالغزل وغلب عليه ، وهو معدود فى الفقهاء والمحدثين[١٢] وكان عالما ناسكا شاعرا حاذقا[١٣] سمع

---

(٧) الاغاني ٢١/١٠٥-١٠٦ .
(٨) السمط ١/١٣٦ وتعجيل المنفعة ص ٢٨٥ .
(٩) الاغاني ٥/٤٦ ط ساسى .
(١٠) الاغاني ٦/١٢٧ ط ساسى .
(١١) البيان والتبيين ٣/٢٦٥ وكذلك ١/٣٤٧ .
(١٢) الاغاني ٢١/١٠٥ .
(١٣) المؤتلف والمختلف ص ٦٩ .

عن عبدالله بن عمر ، وروى عنه مالك في الموطأ ، وروى عنه عبيد الله بن عمر[١٤] وكان من فحول الشعراء ، وتوفى في حدود الثلاثين ومائة[١٥] ، وكان شريفا ثبتا يحمل عنه الحديث[١٦] من أعيان العلماء وكبار الصالحين[١٧] .

ليس في اخباره ما يعين على تصور حياته ، وانما هي تتف قليلة واشارات في جملة أو اثنتين عن اخلاقه ونسكه ورقة غزله ، وليس في شعره مايعين على تكوين صورة واضحة عن حياته ، ذلك لان جل شعره غزل ، والغزل منقطع الصلة عن الاحداث والرجال والعصر ، وانما هو لغة القلب والشعور ، ونحاول هنا أن نتلمس اللمحات التي تركتها الكتب ، والاشارات التي في شعره لتكوين صورة قد تضيء بعض الجوانب من حياته .

عاش عروة في المدينة في العصر الاموي ، وكانت المدينة مركزا للعلم والزهد والحديث ، كما كانت مركزا للغناء والمغنين ، والغزل والغزلين ، وقد شارك عروة في هذين الميدانين ، فقد كان بطبيعته شاعرا رقيقا غزلا حلو الشعر عذب الاسلوب ، مرهف الحس ظريفا محبا للغناء ، ويروى انه كان في مطلع شبابه يصنع الالحان وينحلها غيره فيغني بها ، ومن ذلك قوله الذى غنى به الحجازيون[١٨] :

يا ديار الحيّ بالأجمه لم يبيّن رسمها كلمه

---

(١٤) الجرح والتعديل ٣/٣٩٦ والتاريخ الكبير ـ البخاري ٤/٣٣ .
(١٥) فوات الوفيات ٢/٣٥ .
(١٦) الشعر والشعراء ٢/٥٦٠ والتنبيه ص ٢٦ .
(١٧) وفيات الاعيان ترجمة سكينة ١/٢٦٥ وانظر تعجيل المنفعة ـ ابن حجر ص ٢٨٥ .
(١٨) العقد الفريد ٦/١٦ .

كما شارك في حياة الصلاح والزهد والنسك والعبادة ورواية الحديث.

وفي مواقف سكينة بنت الحسين منه ما يكشف هذين الجانبين على السواء، فقد روى ان سكينة وقفت على عروة وهي في موكبها ومعها جواريها فقالت: (يا أبا عامر، انت الذى تزعم ان لك مروءة وان غزلك من وراء عفّة، وانك تقي، قال: نعم، قالت: أفأنت الذى تقول:

قالت وابثتها وجدي فبحت به ... قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها ... غطّي هواك وما القى على بصري

قال لها: بلى، قالت: هن حرائر ان كان هذا خرج من قلب سليم[19]).

وللسيدة سكينة مواقف مشهورة مع الشعراء، فقد كانت ذات بصر بالشعر، وظرف ودعابة، وقد سمعت شعرا لعروة يرثي فيه أخاه بكرا، وذلك قوله:

سرى همي وهمّ المرء يسري ... وغاب النجم الا قيد فتر

أراقب في المجرة كل نجم ... تعرّض أو على المجراة يجري

لهمّ ما ازال له قرينا ... كأنّ القلب ابطن حرّ جمر

على بكر أخي فارقت بكرا ... وأي العيش يصلح بعد بكر

فقالت سكينة: ومَنْ أخوه بكر، أليس الدحداح الأُسَيْد[20] القصير الذى كان يمر بنا صباحا ومساء؟ قالوا: نعم، قالت: كل العيش يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت[21].

---

(١٩) الاغاني ٢١/١٠٨ وانظر الخبر مع خلاف بسيط في العقد الفريد ٦/١٦ وزهر الآداب ١/١٦٧.

(٢٠) تصغير اسود.

(٢١) الاغاني ٦/١٢٧ ط ساسي وانظر وفيات الاعيان، ويروى هذا التعليق لابن ابي عتيق، وللوليد بن يزيد ايضا الاغاني ٢١/١١١.

ومن المعالم البارزة فى حياة عروة ، شعره الذى يتعفف فيه ، ويزهد بما فى أيدي الناس والذى كان له منه موقف مشهود مع هشام بن عبدالملك، فقد حدّث ابن الشاعر يحيى بن عروة بن أذينة قال : (أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبدالملك ، فنسبهم ، فلما عرف أبي قال له : أنت القـائل :

لقد علمت وما الاسراف من خلقي أن الذى هو رزقي سوف يأتيني
أسـعى لـــه فيعنيني تطلبـــه ولـــو جلسـت اتاني لا يعنّيـني

فقال له ابن أذينة : نعم أنا قائلها ، قال : أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك ؟ وغفل عنه هشام فخرج من وقتـه وركب راحلته ومضى منصرفا ، ثم افتقده هشام فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة وقال للرسـول : قل له : أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك ، فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغدى عليه ، فأبلغه رسالته ودفع اليه الجائزة ، فقال له : قل له : قد صدقني ربي وكذبك • قال يحيى بن عروة : وفرض له فريضتين فكنت أنا فى احداهما)[٢٢] •

وكانت هذه الوفادة من المدينة الى مكة ، حيث حج هشام وابنه مسلمة بن هشام المكنى بأبى شاكر ، ابن ام حكيم ، وكان هشام يطمع أن يولى ابنه العهد بدلا من ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، فولّى هشام ابنـه امارة الحج ، وقد أراد مسلمة أن يتألف قلوب أهل الحجاز ، ففرق اموالا كثيرة ، وأحبه الناس ومدحوه ، وكان عروة قد نوه باسم مسلمة حين دخل على هشام قائلا[٢٣] :

---

(٢٢) الاغانى ٢١/١٠٦ـ١٠٧ والخبر تداولته كثير من المصادر وفيـه تفصيل انظـر العقـد الفـريد ٣/٢٠٥ و ٥/٢٨٩ ومجـالس ثعلب ٢/٤٣٣ وربيع الابرار مخطوط ٤/١٦٩ ووفيات الاعيان ١/٢٦٥ وفوات الوفيات ٢/٣٥ والمستطرف ١/٨٥ـ٨٦ •
(٢٣) الاغانى ١٥/٤٩ و ٢١/١٠٧ ط ساسى •

اتينـــا نمت بأرحامنـــا وجئنـــا بـأذن أبى شـاكر
فـان الذى سـار معروفـه بنجـد وغـار مع الغـائر
الى خير خندف فى ملكهـا لبـاد من النـاس أو حاضـر

وقد أراد الوليد بن يزيد أن يشهّر بأبى شاكر ويشوه سمعته ، فقال شعرا يغنى فيه :

يا أيها السائل عن ديننـا نحن على دين أبى شـاكر
تشربها صرفا وممزوجـة بالسـخن أحيـانا وبالفـاتر

ولكن أهل الحجاز كانوا على حبهم لمسلمة وتفضيله ، لما عرفوا من مجون الوليد ، فقال قائلهم يذب من مسلمة ويعرّض بالوليد(٢٤) :

يا أيها السائل عن ديننـا نحن على دين أبى شـاكر
الواهب البـزل بأرسانهـا ليس بزنديق ولا كافـر

ولم يكن اعراض أهل الحجاز عن الوليد بن يزيد أمراً لا أساس له ، وانما عرفوا عنه الخلاعة والمجون ومعاقرة الخمرة ، وقد أراد هشام أن يعرفهم بسيرة ولى العهد ويشهّر به ، وينفّر أهل الحجاز منه ـ وهم من يحسب حسابهم فى قضايا الخلافة والسلطان ، ويلتمس ودهم ـ فولّى هشام الوليد الموسم فى سنة عشر ومائة ، فرأى الناس منه تهاونا واستخفافا بدينه ، وأمر مولاه عيسى فصلّى بالناس ، وبعث الى المغنين فغناه ابن عائشة بشعر عروة بن أذينة : (سليمى اجمعت بينا ...) فطرب الوليد واكرم المغنين وشاع أمره فى أهل الحجاز ، فانكروا عليه مجونه وهو ولي عهد المسلمين ، وبلغ ذلك هشاما فطمع فى خلعه وأراده على ذلك فأبى(٢٥) .

ولم يكن عروة وهو الناسك الزاهد والشاعر الغـزل بمعزل عن

---

(٢٤) الاغانى ١٥/٤٩ ط ساسى .
(٢٥) الاغانى ٢/٢٣٩ ط الدار .

الاحداث ، احداث عصره ، فقد كان يفـــد ـ ولو قليلا ـ على الخلفاء ، ويذكرهم في شعره ، ويطرب ولاة السلطان بشعره الذي يغنى ، معجبين به أو منكرين عليه ، فاذا كان الوليد يطربه الغناء بشعر عروة ، فان عمر بن عبدالعزيز كان يراه رجلا صالحا ، لا يأخذ عليه الا هذا الغزل الرقيق ، فكان عمر اذا ذكر عنده عرة يقول :

(نعم الرجل أبو عامر ، على أنه الذى يقول[٢٦] :

وقـــد قالت لأتـــراب لهـــا زهـــر تلاقينا)

وهذا الشعر الذى عابه عليه عمر هو نفسه الذى طرب له الوليد ، ولكل شأنه ومنهاجه .

ويبدو ان عروة كان على صلة طيبة وصحبة حسنة مع ولاة المدينة ، فهم يعرفون له علمه وصلاحه ، فضلا عن جيد شعره ، وكان هو وفياً لهم ، يواسي منهم من تصيبه مصيبة أو ينزل به مكروه . فقد كان هشام بن اسماعيل المخزومي والياً على المدينة ، فعزل عن الولاية واشتد عليه العزل ، فقال عروة يخفف عنه الامر ويواسيه[٢٧] :

فان تكن الامارة عنك زالت فانك للمغـــيرة والوليـــد

وقد مرّ الذى اصبحت فيه على مـــروان ثمّ على ســـعيد

لم يكن عروة من شعراء المديح أو الهجاء ، ولم تكن صلته بالامويين صلة شاعر يمرى ضرع السلطان ليدر له بالمال ، فقد رأينا عفته وعزة نفسه حين وفد على هشام ، ثم هجره عائدا الى المدينة معرضا عن الجائزة ، ولكن عروة كان بارا بقومه ، محبا لهم ، فهو يحب قريشا ووجوه قريش ، فهم قومه ، هو ليثي كناني ، وقريش من كنانة نسبا وسكنا ، فصلته بأمراء

---

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) ديوان المعاني ـ أبو هلال العسكري ٢/٢٣٢ .

الدولة الاموية ـ على قلة هذه الصلة ـ أساسها حبه لقريش وتعصبه لها ، فقريش قبيلة النبي الكريم ، وقريش لها فضلها وخيرها وكرمها ، وهو الذى يقول فيها[٢٨] :

سمين قريش مانع منك لحمه وغث قريش حيث كان سمين

وهم عنده المقدمون ابدا ، فاذا ذهبت قريش فلا خير بعدها فى أحد ، فقريش رهط النبي[٢٩] :

اذا قريش تولّى خير صالحها فاستيقنن بأن لا خير فى احد
رهط النبي وأولى الناس منزلة بكل خير وأثرى الناس فى العدد

وهذا البر بقريش وتقديمها ، جعله لا ينحاز لفرع منها دون آخر ، فلم يدخل فى المنازعات والخصومات التي كانت قائمة فى عهده حول الحكم بين الامويين والزبيريين ، فهو على صلة باولئك وهؤلاء فكما كان يمدح الامويين بعض المديح ويواسي ابن مخزوم ، فهو يبكي على آل الزبير ، فقد توفى عامر بن حمزة بن عبدالله بن الزبير بواسط عند عبدالله بن خالد القسرى ، هو ومصعب بن الزبير الملقب بـ (خُضَيْر) فرثاهما عروة بن أذينة بقوله[٣٠] :

ذهب الزمان بمصعب وبعامر وكذاك يفجع ربه بنواقر
ذهبا وكانا سيدين كلاهما فى بيت مكرمة وعز قاهر

ولعروة أبيات أخرى فى رثاء عامر بن حمزة[٣١] :

---

(٢٨) البيان والتبيين ٣/٣٦١ .
(٢٩) المصدر السابق والصفحة .
(٣٠) نسب قريش ـ المصعب الزبيري ص ٢٤١ .
(٣١) انظر القصيدة رقم ٤٤ ورقم ٥٣ من ديوان شعره بتحقيقنا وكان عامر بن حمزة ـ وامه ام ولد ـ من سروات آل الزبير وجلدائهم وليس له عقب الا من النساء . انظر جمهرة نسب قريش ص ٥٥ـ٥٦ ونسب قريش ص ٢٤١ .

حقا ان المصادر لم تترك لنا معلومات واسعة عن حياة عروة وصلاته بالآخرين ، ولكن هناك نتفا واخبارا متفرقة جاءت عرضا وفيها ما يلقى الضوء على جوانب من حياة عروة ونفسيته ، فقد كان عروة صاحبا لعبيد الله بن عروة بن الزبير ، وكان عبيد الله هذا من محبي الشعر ، وكثيرا ما كان يستنشد عروة وعروة فى ضيافته فى داره بالعقيق فينشده[٣٢] :

ان التي زعمت فؤادك ملّهـا خلقت هواك كما خلقت هوى لها

وكان عروة يقضي مع صديقه عبيد الله اوقاتا طيبة ، فيها شعر ولهو وسمر ودعابة ، تنم عن مرح عروة وظرفه ، فيروى عروة بن عبيد الله : ان اباه عبيد الله وابن اذينة خرجا يتمشيان وهو معهما ، فنظر عروة الى غنم كانت له فى يدى راع يقال له كعب ، وهي مهملة وكعب نائم ، فجعل ابن اذينة ينزو حوله وهو يضربه ويقول[٣٣] :

لو يعلم الذئب بنـوم كعب اذاً لأمسى عنـدنا ذا ذنب
اضربه ولا يقـول حسبي لابد عند ضيعـة من ضرب

وهذه الارجوزة تكشف عن جانب من ظرف عروة ومزاحه وبعده عن التحفظ والتزمت .

وكان لعروة مجلس يقصده فيه الناس للعلم والحديث وقرظ الشعر[٣٤] وكان الشعراء اذا قدموا المدينة ، قصدوا عروة فى مجلسه ، فحين قـدم الفرزدق المدينة ، أتى مجلس عروة ، وفيه أنشده الاحوص بن محمد شعرا[٣٥] وحين قصد جرير المدينة ، لقيه عروة وابن هرمة وأنشداه من

---

(٣٢) زهر الآداب ١/٢٧٦ .
(٣٣) الاغانى ٢١/١٠٧ ط ساسى .
(٣٤) مجالس ثعلب ٢/٤٣٤ وفى الاغانى ٥/٤٦ يذكر له سقيفة وجاءت مصحفة باسم سفينة .
(٣٥) مجالس ثعلب ٢/٤٣٤ .

شعرهما ، فقال جرير : (القرشي اشعرهما « أي ابن أذينة » والعربي أفصحهما)[٣٦] ، وأخذ الاصمعي[٣٧] حكم جرير هذا بين ابن هرمة الذى وصفه بالفصاحة وابن أذينة الذى أقرّ له بالشاعرية ، فقال الاصمعي : (وابن هرمة ثبت فصيح ، وابن أذينة ثبت فى طبقة ابن هرمة ، وهو دونه فى الشعر[٣٨] .

وكان عبدالله بن مصعب على رأى جرير فى تفضيل شعر ابن أذينة على شعر ابن هرمة وكان هذا الحكم يغضب ابن هرمة ويغيظه ، وكان يعاتبه على ذلك ، فقد نقل عن عبدالله بن مصعب انه قال : لقيني ابراهيم بن علي بن هرمة فقال لي : يا ابن مصعب ، ألم يبلغني أنك تفضل عليّ ابن أذينة ؟ نعم ما شكرتني فى مديحي أباك ألم تعلم أنى الذى أقول :

رأيتك مختلا عليك خصاصة كأنك لم تنبت ببعض المنابت
كأنك لم تصحب شعيب بن جعفر ولا مصعبا ذا المكرمات ابن ثابت

قال : قلت له : يا أبا اسحق ، أقلنيها وانا أعتبك وهلّم فروّني من شعرك ما شئت ، فروّاني هاشمياته[٣٩] .

وفى حياة عروة رجال آخرون ، هم جلساؤه واصفياؤه من الشعراء والادباء والمغنين ، فمن هؤلاء ابن ابى عتيق الذى كان يسامر عروة ، وعروة ينشده من شعره أو من شعر غيره ، فقد انشده يوما غزلا للعرجي[٤٠] ، وكان ابن ابى عتيق ظريفا ذا دعابة ومزاح ، وربما اسمع عروة ما يبغض ،

---

(٣٦) الاغانى ٤/٣٩٣ ط الدار .
(٣٧) فحولة الشعراء ص ٣٢-٣٣ .
(٣٨) المصدر السابق والصفحة .
(٣٩) جمهرة نسب قريش وأخبارها ١/١٢٠-١٢١ وفى الاغانى ٤/٣٨٠ ط الدار (عباسياته تلك) خطأ .
(٤٠) زهر الآدب ١/٥٥٨ .

أنشده عروة أبياتا فى رثاء أخيه بكر من القطعة التي أولها :

سرى همي وهم المرء يسري • حتى بلغ الى قوله :

وأي العيش يصلح بعد بكر •

فقال ابن ابى عتيق : كل العيش والله يصلح بعـــده حتى الخبز والزيت ، فغضب عروة من قوله وقام عن مجلسه ، وحلف لا يكلمه ابدا ، فماتا متهاجرين[٤١] • ولم يكن ابن ابى عتيق الوحيد الذى اسمع عروة ما يغضبه ، فقد كان ابن عائشة المغني صديقه الذى يغني بشعره ، قال له يوما : قل ابياتا هزجا اغنِ فيها ، فقال له : اجلس ، فجلس ، وقال عروة :

سليمى أزمعت بينـــا فأين تقولهـا أينـــا

فقيل : ان ابن عائشة رواها ثم ضحك لما سمع قوله :

تمنـــين مناهـــن فكنـا مـا تمنينـــا

ثم قال له : يا أبا عامر ، تمنينك لما أقبل بخرك ، وأدبر ذفرك ، وذبل ذكرك ، فجعل عروة يشتمه[٤٢] •

اما الحزين الكنانى الشاعر ، فقد كان صديقا لعروة ، وكان عـــروة ناصحا له يرشده ويخفف من غلوائه واندفاعه فى الحب او الهجاء ، وكانت صلة النسب توثق هذه العلاقة بين الرجلين[٤٣] ، وكان فى المدينة قينـــة يهواها الحزين ويكثر غشيانها ، فبيعت واخرجت من المدينة ، فأتى الحزين عروة وهو كئيب حزين ـ كاسمه ـ فقال له عروة : يا ابا حكيم مالك ، قال : أنا والله يا ابا عامر كما قال كثير :

---

(٤١) الاغانى ٢١/١١١ ط ساسى •
(٤٢) الاغانى ٢/٢٣٨ـ٢٣٩ ط الدار وكذلك ٢١/١٠٧ ط ساسى •
(٤٣) فى الاغاني ١١/٥١ ط ساسى وكان عشـيرا لـه عـلى النسب وفى ١٤/٧٨ على النبيذ وهو تصحيف لكلمة النسب •

لعمرى لئن كان الفؤاد من الهوى بغـى سـقما انى اذا لسـقيم
سألت حكيما أين شطب بهـا النوى فخبرنـى مـا لا أحب حـكيم

وهذه القصيدة يقولها كثير فى عزة لما أخرجت الى مصر . فقال له عروة : أنت مجنون ان أقمت على هذا(٤٤) .

وكثيرا ما كان الحزين يتورط فى امور فيحاول عـروة ان يكبح جماحه ويرده الى صوابه بالنصح والارشاد فقد هجا الحزين عمرو بـن عمرو بن الزبير ، فقال من ابيات :

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد ولكنـه كـز اليدين بخيـل

فبلغ شعره عمرا فقال : (ماله لعنه الله ولعن من ولده ، لقد هجانى بنية صادقة ولسان صنع ذلق وما عداني الى غيري) فلقى الحزين عروة بن أذينه فانشده الابيات فقال له : (ويحك بعضها كان يكفيك فقد بنيتها ولم تقم أودها ، وداخلتها وجعلت معانيها فى أكمتها . قال الحزين : ذلك والله ارغب للناس فيها ، فقال عروة : خير الناس من حلم عن الجهال وما اراه الا قد حلم عنك)(٤٥) .

لقد أقام عروة أكثر حياته فى المدينة ، وما نعرف انه جاوزها الا الى مكة والبصرة ، فقد كان يزور مكة للحج او العمرة ، خرج مع جدته فـى مقتبل عمره ، وكان عليها مشي الى بيت الله الحـرام ، حتى اذا كانا ببعض الطريق عجزت ، فسأل عبد الله بن عمر فى ذلك فقال : مرها فلتركب(٤٦) . وكذلك قدم مكة مع ابيه وهو صغير ، يوم احترقت الكعبة ، زمن ابن الزبير ، ووصف ذلك عروة فقال : (قدمت مع ابى مكـة يوم احترقت الكعبـة ،

---

(٤٤) الاغانى ١١/٥١ ط ساسى .
(٤٥) الاغانى ١٤/٨٠ ط ساسى .
(٤٦) تعجيل المنفعة ـ ابن حجر ص ٢٨٥ وانظر السمط ١/١٣٦ .

فرأيت الخشب وقد خلصت اليه النار ورأيت الكعبة متجردة من الحريق ، ورأيت الركن قد اسود وتصدع من ثلاثة أمكنة ، فقلت : ما اصاب الكعبة ؟ فأشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير ، فقالوا : هذا احترقت بسببه ، أخذ قبسا فى رأس رمح فطيرت الريح منه شيئا فضربت استار الكعبة فيما بين اليمانى الى الاسود)[٤٧] .

وقد وفد عروة على هشام بن عبدالملك حين قدم مكة وذكره هشام ببيتين قالهما (لقد علمت وما الاسراف من خلقى ..) فى رواية مضت ، فركب عروة راحلته ورجع الى المدينة ، فأتبعه هشام بجائزته[٤٨] .

وقد روى ابن شبرمة خبرا يفيد ان عروة كان فى البصرة ، ولعل ذلك كان فى أخريات حياته ، ففى الخبر ما يدل على زهد وعبادة وحث عليهما ، قال : (كان عروة بن أذينة يخرج فى الثلث الاخير من الليل الى سكك البصرة فينادي : يا أهل البصرة : « أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهن بأسنا ضحى وهم يلعبون »[٤٩] الصلاة الصلاة)[٥٠] .

وقد قضى عروة حياته زاهدا ناسكا ، فقيها عالما محدثا ، يجله معاصروه ، ويذكرونه بخير ، ويثنون عليه ، ويكفى ان يكون الخليفة عمر بن عبدالعزيز أحد اولئك الذين اذا سمعوا ذكر عروة قالوا : (نعم الرجل ابو عامر)[٥١] .

وقد عاصر عروة اكثر الخلفاء الامويين ، وتوفى قبيل انتها العصر

---

(٤٧) الاغانى ٢١/١٠٦ ط ساسى .
(٤٨) المصدر السابق .
(٤٩) الاعراف ٩٧-٩٨ .
(٥٠) العقد الفريد ٥/٢٨٥ .
(٥١) الاغانى ٢/٢٣٩ ط الدار .

الاموى بسنتين اثنتين فقط فقد كانت وفاته فى حدود الثلاثين ومائة للهجرة ، عليه رحمة الله .

الشعر :

ان هذا الشعر الذى توصلت الى جمعه وتحقيقه ليس كل شعر عروة ، اذ ان صاحب منتهى الطلب اختار اكثر شعره وليس جميعه ، وما حفظته الكتب جزء آخر ، وهناك شعر لم تصله يد بعد ، ولا يمكن التكهن بقيمته وكميته ، ولدينا اشارات فى بعض الكتب تنص على ان هناك ابياتا وشعرا لم يذكر ، فالزبير بن بكار(٥٢) يروى له قصيدة فى رثاء عامر بن حمزة فى ثلاثة عشر بيتا واولها(٥٣) :

أرقت فما انام ولا انيم وجاء بحزنى الليل البهيم

ويقول بعد ذلك : (وهى اكثر من هذه) ، فأين البقية اذن ؟ انها فقدت مع ما فقد من شعره .

وفى الاغانى ان ابن ابى عتيق لقى عروة بن اذينة فأنشده قوله :

لا بكر لى اذ دعوت بكرا ودون بكر ثرى وطين

(حتى فرغ منها)(٥٤) وقوله : حتى فرغ منها . يعنى انه انشده قصيدة ، وليس لدينا من هذا الحرف الا هذا البيت ، وفى اكبر الظن ان الذى ضاع من شعر عروة جزء ليس باليسير ، لان شهرته وآراء النقاد فيه تدل على اهمية ذلك الشعر وجودته وكثرته .

وعروة بين الشعراء من الفحول(٥٥) ، وهو من طبقة ابن هرمة(٥٦)

---

(٥٢) جمهرة نسب قريش واخبارها ١/٥٨ .
(٥٣) انظر القصيدة رقم ٤٤ من ديوانه .
(٥٤) الاغانى ٢١/١١١ ط ساسى .
(٥٥) فوات الوفيات ٢/٧٤ـ٧٥ .
(٥٦) فحولة الشعراء ـ الاصمعى ٣٢ ـ ٣٣ .

وقسم من الناس وخاصة الشعراء ، يفضله على ابن هرمة ، ويجعله أشعر منه ، فقد قدم جرير المدينة ، واتاه ابن هرمة وابن اذينة ، فأنشداه ، فقال جرير : (القرشي اشعرهما والعربي افصحهما)[٥٧] ، ويريد بالقرشي ابن أذينة • ومن النقاد من يفضل ابن هرمة على ابن أذينة ، وبخاصة اللغويون ورواة الشعر ، من محبي الغريب كالاصمعي الذي يقول عن عروة : (وابن أذينة ثبت من طبقة ابن هرمة وهو دونه في الشعر وقد كان مالك يروى عنه الفقه) (وهذان من طبقة طفيل الكناني)[٥٨] ••

وكل الادباء الذين ذكروه وصفوه بالتقدم والحذق واللباقة وحسن الشعر وجودته ، وبخاصة في الغزل ، فابو الفرج يذكره على انه : (شاعر غزل مقدم من شعراء اهل المدينة)[٥٩] • والبكري يصفه بالاجادة والعلم : (وكان عروة شاعرا مجيدا ومن جلة علماء المدينة)[٦٠] ، اما الآمدي فيصفه بالعلم والحذق : (وكان عالما ناسكا وشاعرا حاذقا)[٦١] •

وينقل ابن عبد ربه عن الاصمعي ان عروة كان : (شاعرا لبقا في شعره غزلا ، وكان يصوغ الالحان والغناء على شعره في حداثته وينحلها المغنين)[٦٢] ، وقد ذكره ابن خلكان في سياق ترجمة سكينة بنت الحسين ، ووصف اشعاره بانها : (رائعة)[٦٣] و (سائرة)[٦٤] ، وابن حجر

---

(٥٧) الاغاني ٤/٣٩٣ ط الدار • وقد كان عبدالله بن مصعب يفضل ابن اذينة على ابن هرمة ، وكان هذا التفضيل يغم ويسوء ابن هرمة • انظر جمهرة نسب قريش واخبارها ١/١٢٠ ـ ١٢١ والاغاني ٤/٣٨٠ •

(٥٨) فحولة الشعراء ص ٣٢ ـ ٣٣ •

(٥٩) الاغاني ٢١/١٠٥ ط ساسي •

(٦٠) السمط ١/١٣٦ ـ ١٣٧ •

(٦١) المؤتلف والمختلف ص ٥٤ ـ ٥٥ •

(٦٢) العقد الفريد ٦/١٦ •

(٦٣ و٦٤) وفيات الاعيان ١/٢٦٥ •

العسقلاني يقول: (له شعر حسن)[٦٥]، وابن شاكر الكتبي يعده : (من فحول الشعراء)[٦٦] . اما في مجال الغزل فقد اكدوا على انه : (رقيق الغزل كثيرة)[٦٧] ، بل غالوا في هذه الرقة حتى قالوا : انه كان (ارق الناس تشبيبا)[٦٨] .

وهذه الاقوال تدل دلالة صريحة واضحة على مكانة عروة بين الشعراء ، وجودة شعره وشيوعه وجماله وروعته ، وبخاصة في مجال الغزل والتسيب .

موضوعات شعره :

لم يعن عروة بفن مثل عنايته بالغزل ، وحقا نجد في شعره موضوعات اخرى ، كالمديح والفخر والعتاب والحكمة ، الا انه يعالج هذه الموضوعات بابيات او مقاطع ، وكثيرا ما تأتي عرضا خلال القصيدة حين تدعوها المناسبة ، ولكن الفن الاصيل الذي تجلت فيه براعته وحذقه وابداعه هو الغزل . وقد شهر بأنه من العشاق والغزلين ، وان الغزل غلب على شعره ، على الرغم من صلاحه ونسكه وعلمه .

وهذا الغزل الذي شهر به رقيق عذب ، سار بين الناس ، وتدبره النقاد ، واعجب به رواة الشعر والادب ومتذوقو الفن . فقد مر بنا ان سكينة تعجب باشعار عروة وغزله الصادق الذي يصور عواطف المحبين ولوعة العاشقين ، ولذلك كانت تنكر عليه ان يكون ذلك الزاهد الناسك الذي يزعم انه لم يحب ولم يعشق ، ولا يقول الا كلام العاشقين ، وقد اقسمت ان جواريها حرائر ان كان هذا الشعر خرج من قلب سليم خال

---

(٦٥) تعجيل المنفعة ص ٢٨٥ .
(٦٦) فوات الوفيات ٢/٣٤ ـ ٣٥ .
(٦٧) زهر الآداب ١/١٦٧ .
(٦٨) العقد الفريد ٥/٢٨٩ .

من الحب[٦٩] .

ولم تكن حادثة سكينة مع عروة هى الوحيدة ، بل ان الادباء من أهل عصره ومن جاء بعدهم كان يهزهم شعر عروة ويملأ شغافهم اعجابا وطربا ، فكانوا اذا سمعوا شعرا لعروة ، طلبوه وسألوا من يحفظه ويرويه ، وان رجلا من محبى الشعر والغناء كابي السائب المخزومى يسمع شعر عروة فيهزه الطرب وتلعب برأسه نشوة الغزل ، فيدعو لعروة أن يغفر الله ذنوبه ، ويمتنع عن الطعام والسماع ، ويفرغ نفسه واحاسيسه لهذا الشعر ولا يخلط به شيئا . فقد روى عن عروة بن عبيدالله الزبيرى انه قال : (كان عروة بن أذينة نازلا فى دار ابى بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه[٧٠] :

ان التى زعمت فؤادك ملّها جعلت هواك كما جعلت هوى لها

قال فأتانى ابو السائب المخزومى وانا فى دارى بالعقيق ، فقلت له بعد الترحيب : هل بدت لك حاجة ، فقال : نعم ، ابيات لعروة بلغنى انك سمعتها منه ، فقلت له : وأية ابيات ، فقال : وهل يخفى القمر قوله : (ان التى زعمت فؤادك ملها) ، فأنشدته اياها فلما بلغت الى قوله :

منعت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان اكثرها لنا واقلها
فدنا فقال لعلها معذورة من أجل رقبتها فقلت لعلها

قال : أحسن والله ، هذا والله الدائم العهد الصادق الصبابة ، لا الذى يقول :

ان كان اهلك يمنعونك رغبة عنى فأهلى بى اضن وارغب

اذهب لاصحبك الله ، ولا وسع عليك ـ يعنى قائل هذا البيت ـ لقد

---

(٦٩) الاغانى ٢١/١٠٨ ط ساسى .
(٧٠) انظر القصيدة رقم ٤٢ .

عدا اعرابى طوره ، وانى لارجو ان يغفر الله لصاحبك ـ يعنى عروة ـ لحسن ظنه بها وطلبه العذر لها .

قال : فعرضت عليه الطعام ، فقال : لا والله ما كنت لاكل بهذه الابيات طعاما الى الليل وانصرف)[٧١] .

وهذا الشعر العذب الرقيق الذى شغل الغزلين والمغنين والادباء وشاع بينهم ، له شبه ونسب بشعر عمر بن ابى ربيعة والعرجى ، من حيث السلاسة والعذوبة والرقة والجمال ، كما له نسب من حيث عفته وسمو أغراضه بشعر البادية العذري ، كشعر جميل بن معمر وعروة بن حزام والمجنون . ولذلك نجد شعر عروة ينسب لاولئك ، وبعض شعرهم ينسب لعروة ، ويتداخل هذا بذاك ، فأبيات عروة التى اولها :

نزلوا ثلاث منى بمنزل غبطة وهم على عجل لعمرك ما هم

تنسب لعمر بن ابى ربيعة ، وفى مقطوعة لعروة بيت يقول فيه :

لو كان حيا قبلهن ظعائنا حيا الحطيم وجوههن وزمزم

ينسب للعرجى[٧٢] ، كما نسبت ابيات عمر بن ابى ربيعة المشهورة :

قالت وعيش اخى وحرمة والدى لانبهن الحى ان لم تخرج

الابيات .. الى عروة بن أذينة[٧٣] . وما اضطراب هذه النسبة الا لان شعر الغزل بما فيه من رقة وعذوبة وعواطف جياشة ، يشبه بعضه بعضا ، وقد اشتهر وذاع بين الناس وعرفت معانى هؤلاء الغزلين فتداخلت الاشعار واضطربت نسبتها ، الا على اهل البصر بالشعر والاخبار .

---

(٧١) الاغانى ٢١/١٠٩ وزهر الآداب ١/١٦٦ .

(٧٢) انظر الحماسة البصرية ٢/١٥٧ .

(٧٣) الكامل ١٦٥ ط أوربا والحماسة البصرية ٢/١١٣ـ١١٤ .

وكان شعر الغزل فى عصر عروة ـ لما من سلاسة وموسيقى وظرف وجمال ـ مادة لالحان المغنين ، فكانوا يتهافتون على شعر عمر وعروة والعرجى وجميل وكثير ، ويفتنون فى صوغ الالحان على اشعارهم ، بل كانوا يكلفون الشعراء الغزلين بنظم ابيات وفق ايقاعات والحان خاصة ، كما نعرف عن ابن عائشة الذى مر بعروة بن أذينة فقال له : (قل ابياتا هزجا اغن فيها ، فقال عروة)[٧٤] : (سليمى ازمعت بينا ..) فكان ابن عائشة يغنيها . وقد غنى غير واحد من مشاهير المغنين بشعر عروة ، فكان خالد صامة يغنى فى مجلس الوليد بن يزيد بابيات عروة التى اولها : (سرى همى وهم المرء يسرى ..)[٧٥] . وفى الاغانى اصوات كثيرة من شعر عروة ، فقوله : (قالت وابثتها وجدى فبحث به) فيه غناء لعلوية وابن اسحق ومخارق ومعبد[٧٦] . ويروى ان معبدا بلغه ان قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن فقال : لقد غنيت بخمسة اصوات هن اشد من فتح المدائن التى فتحها قتيبة ، والاصوات من شعر الاعشى وضرار الغطفانى وعمر بن ابى ربيعة وعروة بن أذينة ، فى قوله[٧٧] :

لعمرى لئن شطت بعشمة دارها لقد كنت من خوف الفراق اليح

ولو رحنا نتتبع شعر عروة المغنى والحان المغنين فيه لطال بنا الحديث وبلغ كل مبلغ ، فأكثر مغنى العصر ترد اخبارهم حول شعر عروة : كابن سريج واسحق وابن عائشة وعلوية والابجر ومعبد وابراهيم الموصلي وابن

---

(٧٤) الاغانى ٢/٢٣٨ ـ ٢٣٩ ط الدار وغنى ابن عائشة بهذا الشعر فى مجلس الوليد بن يزيد ، ويقال انه سقط من اعلى القصر ومات حين سكر وكان يتغنى بشعر عروة هذا . انظر الاغاني ٢/٢٣٧ .

(٧٥) الاغانى ٦/١٢٧ ط ساسى .

(٧٦) الاغانى ٢١/١٠٨ ط ساسى .

(٧٧) جمع الجواهر ـ الحصرى ص ٥١ .

عباد وابن مسجح وخالد صامة والحرون وغيرهم[٧٨] .

ولم يكن اقبال المغنين على شعر عروة الا لما فيه من معان ترضى اذواق السامعين ، وموسيقى تلائم الحان المغنين ، وقيمة فنية وشعرية تعبر عن روح العصر وتمثل العواطف الجياشة والاحاسيس المرهفة .

قلت ان الغزل هو الفن الغالب على شعره ـ وان كان له فخر كثير ووصف ورثاء ـ ولكن الروح الاسلامية والسلوك الدينى يظهر فى كل فن من فنونه ، فحتى الغزل كان يصوغه بمعان مشتقة من روح الاسلام وتعاليمه ، وهو يستعير صوره وتشبيهاته من معالم الاسلام ومواضع العبادة فيه ، ففي قصيدة يذكر موسم الحج وايام النفر الثلاثة فى منى ، والبيت الحرام وزمزم والحطيم ، وذلك فى قوله متغزلا[٧٩] :

لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطة ... وهم على غرض لعمرك ما هم
متجاورين بغير دار اقامة ... لو قد أجد رحيلهم لم يندموا
ولهن بالبيت العتيق لبانة ... والبيت يعرفهن لو يتكلم
لو كان حيا قبلهن ظعائنا ... حيا الحطيم وجوههن وزمزم
وكأنهن وقد حسرن لواغبا ... بيض بأكناف الحطيم مركم

ويصف نسوة عفيفات مصونات ، يحرم التعرض لهن كما يحرم صيد ظباء مكة ، وهن ذلقات اللسان حلو حديثهن لين كلامهن ، ولكن من غير ريبة ، فقد صانهن الاسلام عن الفحش والخنا[٨٠] :

بيض نواعم ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام

---

(٧٨) انظر الاغانى ١/٢٨١-٢٨٢ و ٣١٨ و ٢/٢٣٧ ط الدار و ٥/١٠٨ ط ساسى .
(٧٩) انظر القصيدة رقم ٤٣ .
(٨٠) القصيدة رقم ٤٥ .

يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الاسلام

وينعكس سلوك عروة وسيرته الصالحة التقية فى قصيدته النونية ، ففيها الزهد والعفة والقصد والقناعة ، واليأس مما فى ايدى الناس ، والتوكل على الله فهو الرازق المعطى الذى بيده الامر ، ولكل حسابه وكتابه ، وخير ما يكسب المرء حرصه على دينه وحسبه ، وان يجعل ماله دون عرضه :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
اسعى له فيعنينى تطلبه ولو قعدت أتانى لا يعنينى
وان حظ امرىء غيرى سيأخذه لابد لابد ان يحتازه دونى

ويقول :

ولو تخفض لم ينقص تخفضه مكتوب رزق له ماعاش مضمون
فما امرؤ لم يضع دينا ولا حسبا بفضل مال وقى عرضا بمغبون

واظهر ما فى شعر عروة الاسلامى فخره بالاسلام واعتزازه به وانتسابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الخلافة والشورى والسبق الى الاسلام ومديحه الرسول الكريم ، ويأتى كل ذلك فى مجال الفخر او فى مجال الهجاء ، حين يدل على خصومه بالنبوة والخلافة والهداية ، يقول[٨١] :

منا الرسول نخير الناس كلهم ولا نحاشى من الاقوام انسانا
وذاك نور هدى الله العباد به من بعد خبطهم صما وعميانا
فأبصروا فاستبان الرشد مشعرة بعد الضلال قلوب الناس ايمانا
فينا الخلافة والشورى وقادتها فمن له عند امر مثل شورانا
او مثل اولنا او مثل آخرنا او مثل انسابنا او مثل مقرانا

---

(٨١) القصيدة ٤ الابيات ٢٥ ـ ٢٩ .

وهكذا يستمر فى فخره ، ويتكرر هذا الفخر بالدين والنبى والخلافة والصحابة وآل البيت فى مواضع كثيرة من شعره ، من ذلك قوله[٨٢] :

منا الرسول واهل الفضل افضلهم ... منا وصاحبه الصديق فى الغار
من عد خيرا عددنا فوق عدته ... من طيبين نسميهم وابرار
منا الخلائف والمستمطرون ندى ... وقادة الناس فى بدو وامصار

فنراه يفخر برسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابى بكر والخلفاء الراشدين والعباس بن عبدالمطلب الذى استسقى به عمر بن الخطاب فى عام الرمادة . وتتكرر هذه المعانى فى قصائد اخرى فى شىء من السعة والتفصيل[٨٣] .

وحتى التعريض بالخصوم يتناول جانب الدين اذ لولا الاسلام لهلكوا على جاهلية ، ولولا قومه وسيوفهم لاقام اولئك الخصوم على غيهم وضلالهم ، يقول مفتخرا بقومه ومعرضا بخصومه[٨٤] :

ولولاهم لم يهتد الناس دينهم ... وضلوا ضلال النيب تعوى سقابها
ولم يهلكوا الا على جاهلية ... عصاها عليهم ترتب وعذابها

ولكن بها بعد الاله تبينوا ... شرائع حق كان نورا صوابها
ونحن وجوه المسلمين وخيرهم ... نجارا كما خير الجياد عرابها

وقومه هؤلاء الذين يفخر بهم هم قريش ، وقريش رهط النبى ، ولذلك كان الفخر بقريش ظاهرا فى شعره وهذا الفخر متصل بالاسلام ، فهو يتناوله من هذا الجانب ، ولذلك يقول[٨٥] :

---

(٨٢) القصيدة ٧ الابيات ٣٨ ـ ٤٠ .
(٨٣) انظر القصائد ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٩ .
(٨٤) القصيدة ١٠ الابيات ٧١ ـ ٧٥ .
(٨٥) انظر رقم١٩.

اذا قريش تولى خير صالحها فاستيقنن بأن لا خير فى أحد
رهط النبى وأولى الناس منزلة بكل خير وأثرى الناس فى العدد

وهكذا تجد ان شعر عروة يتصل بروح الاسلام ومعانيه ، وهو ينتزع صوره وتشبيهاته فى الغزل وغير الغزل من المعانى الاسلامية ، ويؤكد فى فخره خاصة على الجانب الاسلامى ، لان النبوة فى قومه ومنهم الخلفاء الراشدون والصحابة والقادة والسابقون الى الاسلام وحاملوا راياته فى الخافقين .

ولم يكن اعجاب الناس بشعر عروة مقصورا على ما فيه من معان غزلية رقيقة، ومعان اسلامية رفيعة ،بل يضاف الى ذلك جودة فى السبك وحسن الصياغة ورقيق العبارة ، وسبقه الى معان لطيفة مبتكرة وقد تناول الشعراء المتأخرون بعض معانى عروة ، فاستعاروها او نسجوا على منوالها ، فقد نظروا الى قوله :

لابعد سعدى مريحى من جوى سقم يوما ولا قربها ان حم يشفينى
اذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم وخلت ان بسعدى اللوم يغرينى

اخذه ابو العتاهية وقد حافظ على الشكل والمضمون فقال(٨٦) :

كم عائب لك لم اسمع مقالته ولم يزدك لدينا غير تزيين
كأن عائبكم يبدى محاسنكم وصفا فيمدحكم عندى ويغرينى
ما فوق حبك حبا لست اعلمه فلا يضرك ألا تستزيدينى

وقد تناول ابو نواس بيت عروة الثانى فجعله فى بيتين فى قوله(٨٧) :

ما حطك الواشون من رتبة عندى ولا ضرك مغتاب
كأنهم اثنوا ولم يعلموا عليك عندى بالذى عابوا

(٨٦) امالى المرتضى ١/٤١٥ وانظر الصناعتين ص ٢٢٣ ط صبيح .
(٨٧) المصدر السابق .

وقد اخذ ابو تمام قول عروة :

اسعى لـــه فيغنيني تطلبـــه ولو قعـدت اتانـــي لا يغنيني

فصاغه في قوله(٨٨) :

الـرزق لا تكمد عليـه فانـــه يأتي ولـم تبعث اليه رســـولا

واين هذا القول القاصر من معنى عروة السابق في جمال لفظـــه وحسن صياغته وجودة معناه .

ويعود أبو العتاهية ثانية فيأخذ قول عروة :

تروعنـا الجنائز مقبـــلات ونلهو حين تخفى ذاهبـات
كروعـة ثلّـة لمغـار ذئب فلما غاب عـادت راتعـــات

فقـال(٨٩) :

اذا ما رأيتم ميتين جزعتـم وان غيبـوا ملتم الى صبواتها

ومثله قول بعض الاعراب :

ونحدث روعات لدى كل فزعـة ونسرع نسيانا وما جاءنا أمـــن
وانّا ـ ولا كفران لله ربنّـــا ـ لكالبدن لا تدري متى يومها البدن

ولا ندري فلعل عروة أخذ معناه من هذا الاعرابي ، أو لعل الاعرابي أخذ معنى عروة ، ويبدو من البيت الثاني ان القائل ممن أدرك الاسلام فآمن وليس جاهليا بعيد العصر .

وقال عروة في بعض شعره الحكمي :

---

(٨٨) الموازنة ١/١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٨٩) امالي المرتضى ١/٤١٥ .

ان الفتى مثل الهـــلال له　　نـور ليـــالي ثـم يمتحق
يبلى وتفنيـه الدهـــور كما　　يبلى وينضـو الجدة الخلق

أخذ هذا المعنى بقافيته محمد بن يزيد الكاتب فقال[٩٠] :

المرء مثل هلال عند مطلعـه　　يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتّسق
يزداد حتى اذا ما تم أعقبه　　كرّ الجديدين نقصانا فيمتحق

وقد وقف النقاد عند ابيات لعروة وقفة اعجاب بجودة المعنى وحسن الصياغة واصابة الغرض ، فمن ذلك ما قيل ان ابا هفّان قال : أشعر أبيات قيلت فى الحسدة والدعاء لهم بالكثرة اربعة ، منها قول عروة[٩١] :

لا يبعـد الله حسّادى وزادهـــم　　حتى يمـوتوا بداء فيّ مكنـــون
انّى رأيتهـــم فى كل منـــزلة　　اجلّ قـدرا من اللائي يحبـونى

وقد كان ابن طباطبا[٩٢] يعجب من أبيات لعروة لما فيها من احـكام النسج ووقوع قوافيها فى مواضعها ولطف العبارة فى قوله :

وكل هـــوى دان عني زمـــانا　　لـــه مـن بعـــد ميعتـــه تجلّى
كأني لم أكـــن من بعـــد الف　　عـذلت النفس قبل على هـوى لي
فان أقصـر فقـــد أجريت عصرا　　وبلاّنى الهـــوى فيمـــن يبلّى

وقد وقف معجبا عند قوله (هوى لي) للطف موقعها .

وكما أعجب النقاد بشعر عروة فقد ذكروا له هنات وسقطات ، ولكنها قليلة ليست بذات خطر[٩٣] .

---

(٩٠) امالى المرتضى ١/٤١٦ .
(٩١) امالى المرتضى ١/٤١٤ .
(٩٢) عيار الشعر ص ١٠٩ .
(٩٣) انظر عيار الشعر ص ٤١ ـ ٤٢ والصناعتين ٣٧ و ١٠٨ ط صبيح .

وبعد : فهذا شعر عروة ، وهذه أبرز سماته ، وفى شعره ثروة رائعة من الصور والتعابير وجمال الاسلوب وحسن الصياغة وجودة التشبيه وبعيد الاستعارات والكنايات ، والنظرة الفاحصة المتأملة فى شعر عروة تظهر هذه الروائع ، وتجلو كنوزا من الفـن الرفيع ، فى غـزله الصادق وأوصافه الجميلة التي صاغها فى اسلوب سهل رشيق ، والفاظ عذبة بسيطة ، فيهـا جمال الحضارة ورقتها ، وظـرف أهل الحجاز وبليغ عبارتهم وفصـيح كلامهم .